



## الإنسان بين الاستجابة لله وإما اتباع للهوى

(028) سورة القصص

الدرس العاشر - شرح الآيات 47 - 51

2019-06-21

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

### تلخيص لما سبق :

مع اللقاء العاشر من لقاءات سورة القصص، نذكر شيئاً من الماضي.  
سورة القصص سورة مكية يدور محورها الأساسي حول رعاية الله عز وجل لأوليائه، وحول أن الله تعالى غالبٌ على أمره، وحول أن إرادة الله تعالى هي المحققة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

(سورة القصص: الآية 5)



الطغاة إلى زوال

وأن الطغاة والبلغاة والظالمين مهما امتد بهم الأمر، ومهما ظهر من بطشهم، وعلى رأسهم فرعون، فرعون موسى، مهما امتد بهم الأمر فهم إلى زوال، وإرادة الله تعالى هي النافذة، هذا محور السورة، تتصافر القصص الموجودة في السورة إضافة إلى المعلومات المجردة تتصافر مع بعضها لتحقيق هذا الهدف، ورأينا كيف عُرضت قصة موسى عليه السلام في هذه السورة بتفاصيل محددة خاصة بهذا الهدف، فجاء عرض القصة متعلقاً بموسى عليه السلام، وكيف رعته عناية الله جل جلاله عندما كان صغيراً في التابوت، إلى أن رعته في مدين يوم خرج (حَائِقًا يَتَرَقَّبُ):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِقًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

(سورة القصص: الآية 21)

إلى أن عاد إلى مصر، تحركه أشياء لا نعلمها إلا أنها قدرة الله عز وجل التي أرادت له أن يعود وكيف في طريق عودته (آتَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فَلَمَّا قَصَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

(سورة القصص: الآية 29)

وكان اللقاء التاريخي بينه وبين رب العزة جل جلاله، وحُمِّلَ الرسالة، وكُلِّفَ بالأمانة، وعاد موسى عليه السلام بالآيات التي معه، وبشَّره الله تعالى (يَأْتِيْنَا أَثْمًا) موسى وهارون (وَمَنْ أَتَّبَعْنَا أَثْمًا وَمَنْ أَتَّبَعْنَا أَثْمًا وَمَنْ أَتَّبَعْنَا أَثْمًا):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَأْتِيْنَا أَثْمًا وَمَنْ أَتَّبَعْنَا أَثْمًا وَمَنْ أَتَّبَعْنَا أَثْمًا

(سورة القصص: الآية 35)

ثم اختصرت القصة السياق في هذه المرحلة، وأعطت الأخذ السريع الذي حصل.

محور القصة هو النظر إلى عاقبة الظالمين وأن قدرة الله هي النافذة :

قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فَأَحَدْنَاهُ وُجُودَهُ فَنَبَّذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ

(سورة القصص: الآية 40)



النظر بامعان لعاقبة الظالمين

محور القصة (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)، أي محور القصة من أجل أن تنتهي بك إلى أن تنظر نظراً فاحصاً، إلى أن تنظر نظراً فيه إمعان تصل به إلى أن عاقبة الظالمين مهما بدا لك من اشتداد ظلمهم، ومهما بدا لك من أنهم يفعلون، ويقولون، وخطبون، وتتعالى أصواتهم، فهم إلى زوال، وقدرة الله عز وجل هي النافذة (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ).

بعد ذلك بدأت التعقيبات على القصة، وفي القرآن الكريم عندما تقرأ قصة عندما تنتهي منها فوراً اقرأ التعقيبات بتقّس إيماني، ويتقّس الإنسان الذي يريد أن يصل إلى العبرة من القصة، فالقصة تعقيباتها مهمة جداً، انظر بقصة يوسف عليه السلام كيف عقّب الباري جل جلاله، وانظر في هذه القصة، الآن عقّب ربنا عز وجل على القصة، أي ما الذي يريد ربنا جل جلاله من هذه القصة مما لا يمكن أن ندركه مباشرة؟ هناك أشياء بالقصة تدرك مباشرة، أي لا يوجد مبرر أن نقول لك في النهاية أنه جل جلاله رعى موسى عليه السلام، لأن الرعاية ظهرت، أي لا يخفى على ذي لب، لكن هناك بعض الأمور التي قد تخفى عليك سببها الآن الباري جل جلاله.

عبر سورة القصص :

1 - صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإثبات رسالته :

أول أمر بيّنه الله الذي ذكرناه في اللقاء الماضي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَصَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ

(سورة القصص: الآية 44)



الإخبار من الله يؤكد صدق نبوة محمد

أول عبرة من القصة قد تخفى عليك أنها تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن هذه القصة بهذا الإحكام، وذاك التفصيل، لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم شاهداً عليها، ولا كان حاضراً، ولا كان بجانب العربي في هذا المكان الذي أوحى الله فيه إلى موسى، ولكن ربنا عز وجل يخبره، فالإخبار من الله عز وجل يؤكد صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، هذه العبرة الأولى التي ذكرها القرآن الكريم، ثم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَلِكَيْلًا أَنْشَأْنَا فُرُوجًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۖ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلِكَيْلًا كُنَّا مُرْسِلِينَ

(سورة القصص: الآية 45)

أيضاً إثبات للرسالة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَمَا كُنْتَ بِخَانِبِ الطُّورِ إِذْ تَادِبْنَا وَلَكِنَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

(سورة القصص: الآية 46)

انظر (وما كنت) ثلاث مرات (وما كنت بخانِبِ الطُّورِ) (وما كنت تأويًا في أهلِ مَدْيَنَ) (وما كنت بخانِبِ الطُّورِ) عند الوحي (إذ تادبتنا ولكن رحمةً من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذيرٍ من قبلك لعلهم يتذكرون) هذا ما وصلنا إليه في اللقاءات السابقة.

## 2 - ابتلاء المؤمن تكفير سيئات و رفع درجات :

نتابع اليوم العبرة الثانية من القصة، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(سورة القصص: الآية 47)



الطبيب سبب بأن لا تسوء حالة المريض.

(وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) سأبدأ حرفاً حرفاً، أولاً: (لَوْلَا) لولا الطبيب لساءت حالة المريض، لولا حرف امتناع لوجود، وجد الطبيب فامتنع التماذي في سوء حالة المريض، لولا الطبيب لساءت حالة المريض، هذه يقولونها في النحو، الأولى نحن بالإيمان أن نقول: لولا الله لساءت حالة المريض، ولولا الطبيب كسبب طبعاً لساءت حالة المريض، إذاً وجد الطبيب فامتنعت إساءة حالة المريض، هذا حرف امتناع لوجود، (وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) نأتي إلى (مُصِيبَةٌ) بالقرآن الكريم عندنا مصيبة، وعندنا عذاب، وعندنا ابتلاء أو بلاء، ثلاثة جذور أو ثلاث كلمات: مصيبة، وعذاب، وابتلاء، أعتقد أننا بحاجة إلى دراسة مفصلة لهذه المصطلحات لنستطيع أن نفهم كيف ربنا عز وجل يعامل عباده، أولاً سأبدأ بالعذاب، العذاب:

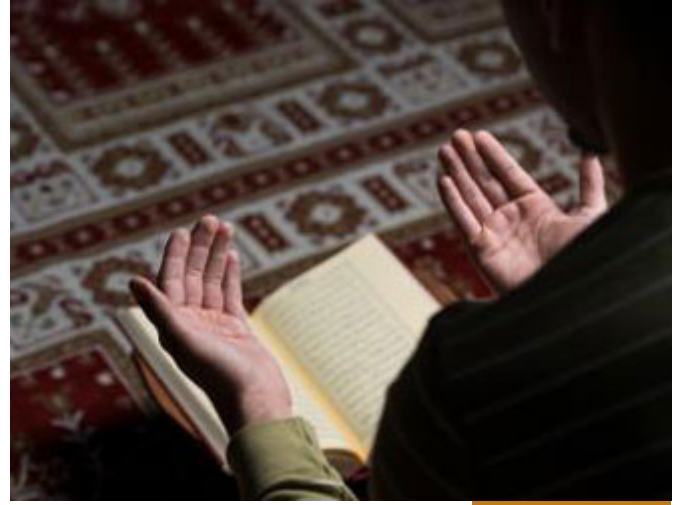
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

(سورة الأنفال: الآية 33)

نفى العذاب، بآية ثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا

(سورة النساء: الآية 147)



العذاب لا يكون للمؤمنين  
العذاب هو حالة تكون لغير المؤمن، للبعيد عن الله، لغير الشاكر، للإنسان الذي نأى بنفسه عن الله، واستغنى عن طاعة الله، هذا يكون له العذاب، والعذاب لا يكون للمؤمنين (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ) لا يعذب المؤمن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَجِبَاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۚ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ

(سورة المائدة: الآية 18)

فاستنبط الإمام الشافعي قال: "إنَّ الله لا يعذب أحبابه"، عندما قالوا: (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَجِبَاؤُهُ) طبعاً أبناء افتراء، وإذا كنت حبيب الله فلماذا يعذبك الله؟ (بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ)، فهذا العذاب، العذاب هو حالة في الدنيا وفي الآخرة تصيب الكافر فيعذب، يعيش عذاباً نفسياً وألماً نفسياً، وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ من الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَقَاتُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۚ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ تَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فَتَرَاهُ مُمْصَقًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَّامًا ۚ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

(سورة الحديد: الآية 20)

## المؤمن أشدَّ ابتلاءً من غيره :

الابتلاء غير العذاب، الابتلاء هو سنة الله في الحياة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ

(سورة الملك: الآية 2)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ

(سورة المؤمنون: الآية 30)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

(سورة العنكبوت: الآية 2)



وجودنا في الدنيا هو ابتلاء

والفتنة هي الابتلاء، وهي ليست ذات مفهوم سلبي في القرآن، هي ابتلاء، امتحان، والامتحان غير سلبي، إذا امتحنا ثلاثين طالباً فنجح تسعة وعشرون ورسب واحد، الامتحان سلبي أم إيجابي هنا؟ إيجابي لأنه نجح تسعة وعشرون طالباً، لكن الذي نظرتة قاصرة ينظر إلى الراسب فيقول لك: الامتحان سلبي أو هو الراسب نفسه يقول لك: لم هذا الامتحان؟ لأنه لم يدرس، فالامتحان ليس سلبياً وليس إيجابياً، هو بحسب الممتحن، فإن نجح فيها ونعمت، وإلا فهو الذي رسب، فالابتلاء هو علة الوجود، إذاً من الذي يبتلى؟ كل الناس، لا يوجد إنسان في الأرض لا يبتلى، أصلاً مجرد وجودنا في الدنيا هو ابتلاء، أي بدأ الابتلاء من لحظة نزولك من رحم أمك، فأنت مبتلى، الآن برزقك مالاً مبتلى، يمنع عنك المال مبتلى، برزقك قوة مبتلى، يبتلىك بالضعف مبتلى، الناس أحياناً يشاهدون إنساناً في الطريق ثيابه رثةً بالية، لا يجد قوت يومه، يقولون: ليكن الله في عونته إنه مبتلى، بالنظرة نفسها ينبغي أن تنظر إلى إنسان يركب أحدث سيارة، ومعه أموال، يجب أن تقول: كان الله في عونته إنه مبتلى، الاثنان في ابتلاء، لا علاقة للابتلاء بالسوء:



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَتُبْلُوكُمْ بِالنَّشْرِ وَالْحَيْرِ فَنُنَبِّئُكُمْ بِاللَّذِينَ نُرْجِعُونَ

(سورة الأنبياء: الآية 35)

فالابتلاء يكون بالنشر ويكون بالخير، وكلنا مبتلون، الآن قد يكون المؤمن أشدَّ ابتلاءً من غيره لأنَّ الله يحبه فيبتليه ليُكفِّرَ سيئاته، ويرفع درجته، الدليل:

{ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبِيدِ حَتَّى يَمُشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ { (ابن ماجة بسند صحيح)

ابتلي صلى الله عليه وسلم بالجوع، وبالفقر، وبالغنى، وبالضعف، وبالقوة، وبالفقد الولد، وبأن يتحدث الناس في عرض زوجته، كلها ابتلاءات، فالنبي صلى الله عليه وسلم ابتلي ابتلاءات عظيمة، ابتلي بالغنى، وابتلي بالفقر، وابتلي بالصحة والمرض، وابتلي بالقوة عندما فتح مكة، وبالضعف يوم ذهب إلى الطائف فأذوه وضربوه، فالنبي صلى الله عليه وسلم ابتلي، وكل الناس مبتلون. هذا الابتلاء.



المصيبة تصيب الهدف

نأتي للمصيبة التي هي موضع حديثنا من أجل أن نحرر المصطلحات، لأن أهم شيء أن نحرر المصطلح من أجل أن تدرك القضية، المصيبة: من وجهة نظري هي نوع من أنواع الابتلاء، هي حالة من حالات الابتلاء لشخص يستحقها، فسميت مصيبةً لأنها تصيب الهدف، وقد يستحقها المؤمن، وقد يستحقها الكافر، فتكون عذاباً للكافر، وتبقى ضمن الابتلاء بالنسبة للمؤمن، هذه هي المصيبة، المصيبة تصيب الهدف، هي مصيبة أصابت موضعها، إنسان تعامل بالربا فأصابته مصيبة إتلاف المال، هذه مصيبة، ويشعر في أعماقه بأن الله أنف مالي لأنني تعاملت بالربا، إنسان عاق أباه فجاءه ابن عاق أذاقه الويلات، فيشعر في أعماقه بأن هذا الابن العاق إنما هو جزاء عقوبته أبيه، فهذه بتلك، هذه هي المصيبة، المصيبة تصيب، هنا ربنا عز وجل يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَأُولَآئِكَ نُنصِبُهُمْ مَّصِيبَةً يَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(سورة القصص: الآية 47)

أي لولا أن يعاقبهم الله عز وجل بسبب ذنوبهم، أي فقط المصيبة التي لها سبب.

### المصيبة من كسب الإنسان أما الابتلاء فهو سنة الله في الحياة :

لماذا أقول هذا الكلام؟ أنت ترى إنساناً ابتلاه الله بمرض، مبدئياً، الله يبتليه، يمتحنه، ليس من حقه أن تقول: إنَّ الله يعذبه، مبدئياً، لأنه مؤمن ويصلي معك في المسجد، الله لا يعذب أحبائه، هذا أجوك في الإيمان، فمبدئياً هو لا يعذب، العذاب ليس له، قد يدخل إلى قلبه من السرور في مرضه ما لا يجده في صحته، " قال: عيدي مَرَضْتُ قَلَمْتُ تُعَذِّبِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أُعَوِّدُكَ؟ وَاتَّكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَيْدِي فَلَاتَا مَرَضٌ قَلَمْتُ تُعَذِّبِي، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتِي عَيْدَةً" ما قال لوجدت ذلك عندي مثل الطعام والسقيا، قال: لوجدتني عنده، لأن الله قريب من المريض، فقد يجد المريض من القرب من الله عز وجل ما لا يجده في الصحة، إذا هذا ليس عذاباً، هذه مبدئياً:

{ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَيْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْمَنَكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَيْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَيْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي {  
(صحيح مسلم)

ثانياً: لا يحق لك أن تقول: إنَّ الله عز وجل أصابه بمصيبة جزاء عمله، وما أدراك ما عمله؟! لعله خيرٌ منك، ولعل عمله أفضل من عملك عند الله، إذ ما الموقف الصحيح؟ إنَّ الله يبتليه بمثل هذا المرض ليرفع درجته، أما أنا إن جاءني مصيبة أو ابتلاء مبدئياً، إن جاءني ابتلاء فأنا أول ما أفعل أنهم نفسي لعلها مصيبة بسبب ما كسبت يدي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَتَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ

(سورة الشورى: الآية 30)



المصيبة بكسب الأيدي

فالمصيبة بكسب الأيدي، أي بسبب ما فعلته تأتيك المصيبة، فلا أقول عن أخي المؤمن: أصابته مصيبة بسبب ما فعله، لأنني لا أدري ما فعله، علمه عند الله، لكن أقول: الله ابتلاه، نسأل الله السلامة والعافية، ولكنَّ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لَنَا، فإن أصابني مصيبة فإنني أنظر إليها على أنها قبل كل شيء مقابل إساءتي في جنب الله، وفي تقصيري في حق العبودية، ثم هي ابتلاء ورفق للدرجات لي عند الله، أما ما أصاب أخي فهو إن شاء الله رفيع للدرجات إحساناً بالظن به، إذ صار عندي عذاب ومصيبة وابتلاء، وأطن الفروق بينهما أصبحت واضحة والله أعلم، (وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ) انظروا المصيبة دائماً بما قدمت أيديهم) في القرآن الكريم المصيبة دائماً بسبب، الابتلاء لا يحتاج إلى سبب، لا ينبغي أن نسأل لماذا ابتلاني الله، إذا ذهب شخص إلى الجامعة وقالوا له: في آخر السنة هناك امتحان، لم الامتحان؟ لماذا تريدون أن تمتحنوا؟ لم أنت في الجامعة إذا؟ الامتحان من لوازم الجامعة، فلا يسأل الإنسان سؤالاً لماذا يمتحنني الله عز وجل؟ ولماذا لا يمتحنك؟ بالعكس إذا لم يبتليك ولم يمتحنك فاسأل هذا السؤال.



التمكين يأتي بعد الابتلاء

الإمام الشافعي قالوا له: أندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين؟ قال: "لن تمكّن قبل أن تبتلى"، ادع بما شئت، في النتيجة هناك ابتلاء وهناك تمكين، فالتمكين يأتي بعد الابتلاء وليس قبله، لا يوجد تمكين دون ابتلاء، فأنت لا تسأل لماذا يبتليني الله، طبعاً سيبتليكم، كما يسأل طالب: لماذا تمتحنني الجامعة؟ لكن لو جاء في الجامعة عقوبة أسأل: لماذا العقوبة؟ لم تبين الجامعة من أجل العقوبات، فالابتلاء لا يسأل عنه، لكن يسأل عن العقوبات، لذلك (وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتُمْ) فالمصيبة هي من كسب الإنسان، أما الابتلاء فهو سنة الله في الحياة (تُصِيبُهُمْ مُّصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ) أي بسبب، الباء هنا باء السبب، أي بسبب ما فعلوا وارتكبوا فجاءت المصيبة ردّاً على أفعالهم لتردعهم ليعودوا إلى الله.



## تقديم الاتباع على الإيمان :

ثم قال: ( قَيِّقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا هَذَا كَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ يَعِصِي اللَّهَ، وَيَأْكُلُ الرِّبَا، فَاتْلِفِ اللَّهَ لَهُ مَا لَهُ فَاتَّبِعْهُ إِذَا فَهَمَ الرِّسَالَةَ، وَإِذَا لَمْ يَنْتَبِهْ لَمْ يَفْهَمْ الرِّسَالَةَ، إِذَا المصيبة هي رسول، هذه بتلك، الجزء من جنس العمل (يَمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ)، فهنا يمكن أن نقول (لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا) أي لكانوا احتجوا يوم القيامة يا رب لو أنك بعثت لنا مصيبة لكننا رجعنا إليك، ولكن نحن نعصيك وتركنا وأمهلتنا، وأمهلتنا حتى طئنا أننا على حق، هذا معنى.

المعنى الثاني: الذي ذكره معظم المفسرين قال: (لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا) أي موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم في خطابهم في الآيات هنا، (لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا) أي لماذا يا رب لم ترسل لنا رسولاً من عندك يبين لنا الحق من الباطل فوقنا في شر أعمالنا فجاءتنا المصائب ردًا على ما قدمنا أبدينا، (لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا) دائماً الحجة البالغة لله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ □

(سورة الأنعام: الآية 149)



الجانب السلوكي مقدم على الجانب الفكري

فإنه لا يقيم حجة لمخلوقاته عليه أبدًا، فيرسل لهم رسولاً وإن كان يعلم بعلمه المستقبلي الكشفي بأنهم لن يؤمنوا، لكنه يرسل لهم الرسل لتقوم عليهم الحجة، قال: (وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ قَيِّقُولُوا) طبعاً (قَيِّقُولُوا) هنا حذف نونها لأنها بعد (وَلَوْلَا) فتحذف النون بأن مضمره بعد الفاء (قَيِّقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعْ آيَاتِكَ) أي لو لم يات الرسول كانوا سيقولون: يا رب لماذا لم ترسل لنا؟ لكننا اتبعنا الآيات (فَتَتَّبِعْ آيَاتِكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) كنا أمننا بالآيات واتبعناها، وقدم الاتباع على الإيمان، لأن الإيمان من غير اتباع لا أقول إنه لا قيمة له، لكن أقول: إنه لا ينجي صاحبه بين يدي الله عز وجل، أي لمجرد أن تؤمن هذا لا يكفي، يجب أن تفعل شيئاً، لكن الإيمان وحده من غير عمل هو إيمان قاصر بلا خلاف، لأن ربنا عز وجل بالقرآن: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بعشرات الآيات، فلذلك قال: (فَتَتَّبِعْ آيَاتِكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) فقدم الجانب السلوكي على الجانب الفكري، وهنا قدموه كذلك لأنهم يعلمون بأن الأصل هو اتباع الآيات، أي إذا آمن إنسان بأن الطبيب أفضل طبيب في البلد ولكنه لم يتبع وصفة الطبيب هل يشفى من مرضه؟ أبدًا، أنت أفضل طبيب، وأنا مؤمن بذلك، ووصفتك على العين والرأس، وقبّلها ووضعها على رأسه ثم مزقها، ولم يتبع ما فيها، ترك الاتباع، فهل نفعه إيمانه من غير اتباع؟ مرة ثانية: لا أقول: إن إيمانه لا قيمة له، لأن الفكر شيء مهم، والإيمان هو: قولٌ باللسان واعتقادٌ بالجنان وعملٌ بالأركان، لكن هو جزء من الإيمان أكيد، لكن (فَتَتَّبِعْ آيَاتِكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) فقدم الاتباع على الجانب الفكري.

## توافق الحق مع العقل :

الآن قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِيَتْهُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ □ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ □ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ □

(سورة القصص: الآية 48)



#### الربا حرام بالنقل وبالعقل

(قَلَمًا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا) الحق هو الله، والحق هو كلام الله، والحق هو كل ما كان متصلًا بالله جل جلاله، والحق هو ما توافق فيه النقل الصحيح؛ كتاب وسنة، كلام الله، وبيان المعصومين؛ الأنبياء والرسل، كلام الله وبيان المعصومين، هذا النقل، وهو يتوافق حتمًا مع العقل، لأن منزل النقل هو الله، وخالق العقل هو الله، فالمصدر واحد، فيستحيل أن يتناقض خلق من خلقه مع كلامه، أبدًا، المصدر واحد فالتطابق حتمي، فالحق هو نقلٌ صحيح يتوافق مع العقل الصريح ولا أقول العقل التبريري، الصريح لماذا؟ لأن هناك عقلًا تبريريًا يبرر، أي الربا حرام بالنقل الصحيح، وبالعقل الصريح حرام، لا يقبل العقل الربا، لأنه إفساد، لأنه تجمع للمال في أي قليلة وتحريم منها الكثيرة الكثيرة، أما إذا جاءني أستاذ في الاقتصاد له عقد مع البنك، يقبض في نهاية كل شهر عشرة آلاف دولار من البنك، وجلس ساعة يقنعني من خلال عقله يبرر لي أهمية الربا في نهضة الأمة، فهل تناقض النقل مع العقل؟ لا، لكن عقله التبريري هو الذي دفعه، لأنه منتفع من البنك، أو أمواله في البنك، فالربا حرام نقلًا ولا يقبل عقلًا، الاختلاط غير المنضبط، الاختلاط الذي لا يبنى على أسس شرعية، لأن هناك اختلاط ربما يحدث لكن ضمن أسس شرعية، لكن الاختلاط غير المنضبط هو حرام نقلًا ولا يقبله العقل، لأنه إذا جرد إنسان عقله لوحده ينتج معه أن هذا الاختلاط هو حالة خطأ، لأنك تثير الشهوات وتفسد في الأرض، أما إذا شخص عقله تبريري وقال لك: بالمدارس يحدث كثير من التهذيب للطلاب وللطالبات بحكم وجودهم مع بعضهم، يتألفون بشكل أفضل بكثير من أن يكون الذكور في مكان والإناث في مكان آخر، فهذا إما عنده مدرسة مختلطة، أو مسجل أولاده بمدرسة مختلطة أو أو إلخ، فهو عقله تبريري، فلا تنظر للعقل التبريري، فالحق هو نقل صحيح، وعقل صريح، وفطرة سليمة، الحق يتوافق مع الفطرة السليمة، ويتوافق مع الواقع الموضوعي غير المزور، هذا هو الحق، فنحن عندما يقول ربنا عز وجل: (قَلَمًا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا) أي جاءهم ما هو خلاف الباطل، وحقَّ يحقُّ أي تَبَّتَ يَتَّبِتُ، وَيَبْطَلُ يَبْطُلُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَيَبْطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(سورة الأعراف: الآية 118)

لأن يَبْطَلُ من البطولة، يَبْطُلُ أصبح بَطَلًا، وَيَبْطَلُ أي زهق، فالباطل هو الشيء الزائل والعايب، والحق هو الشيء الثابت والهادف، (وَيَبْطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

#### مناظرة الناس و محاورتهم خطوة خطوة :

الآن (قَلَمًا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا) من الوحي من الله عز وجل (قَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ مَا أُنزِلَ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا لَمُنَّوْا بِهِمْ كَقَدْحِ شَرَابٍ مُسْتَسْقِنًا) ماذا قالوا؟ (قَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ مَا أُنزِلَ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا لَمُنَّوْا بِهِمْ كَقَدْحِ شَرَابٍ مُسْتَسْقِنًا) أي لينته أوتي مثل التوراة أو أوتي مثل البينات التي كانت مع موسى التي ذكرتها السورة قبل قليل، أي يا ليت يده كانت تخرج بيضاء من غير سوء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۗ

(سورة النمل: الآية 12)

ليت معه العصا التي تتحول إلى نعبان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ

(سورة الشعراء: الآية 32)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ

(سورة الأعراف: الآية 117)

معهُ الْأَلْوَابِحُ الَّتِي فِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَخَذَ الْأَلْوَابِحُ ۚ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ

(سورة الأعراف: الآية 154)



القرآن يحاجهم

إما المعجزات المؤيدة بالرسالة، أو ما أوتي من الألواح التي فيها الهدى والرحمة وهي التوراة، فقالوا: (لَوْلَا أُوْتِيَ مُثَلًّا مَا أُوْتِيَ مُوسَىٰ) الآن القرآن يحاجهم، الآن مناظرة، انظر ربنا عز وجل، هل يستحق هؤلاء الحوار؟ هم يعرفون أنفسهم أنهم كاذبون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

(سورة التوبة: الآية 42)



#### رَبَّنَا عَلِّمْنَا الْمَنَاطِرَةَ وَالْحَوَارِ

لكن ربنا عز وجل يعلمنا، بناظرهم ويحاورهم، يمشي معهم خطوة خطوة، لأنك إذا أردت أن تدعو الناس بمنطق أنبيء أعرف أنه كاذب، ولن يهتدي، ولن، ولن، لن تفلح أبداً، وما أدراك؟ ربنا الذي يعلم، ورغم ذلك الآن يحاورهم، انظروا واحدة واحدة، بدأ بالأولى، ماذا قالوا؟ (قَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) انظر الرد الإلهي، قال: (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ) أنتم كفرتم من قبل بما أُوتِيَ موسى، هل أنتم مؤمنون بالتوراة وبما أُوتِيَ موسى؟ لا، إذاً ما معنى كلامكم (لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) لو فرضنا (أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) هل كنتم ستؤمنون؟ (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) السحر الأول التوراة، والسحر الثاني القرآن، بزعمهم (تَظَاهَرَا) أي تعاونا وأعطى كل منهما ظهره للآخر فسنده به، ومنه جاءت المظاهرة التي يخرج بها الناس فيتظاهرون، فكلٌ منهما يعطي ظهره للآخر من أجل أن يفوق به، فيتظاهر الإنسان مع الآخر، (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) أي كلٌ منهما يؤيد الآخر، وهما سحران، القرآن والتوراة، فإذا كنتم تقولون التوراة سحر فلماذا تقولون بعد ذلك (لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) وأنتم لم تؤمنوا بما أُوتِيَ موسى أصلاً؟ (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا يَكْلُ كَافِرُونَ) هذا قولكم، أنتم قلتُم: نحن تكفر بالتوراة التي جاء بها خير قدوم محمد صلى الله عليه وسلم، وقتلتم: إن السحرين تظاهرا مع بعضهما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ

(سورة البقرة: الآية 89)

فهم كانوا يعرفون أنه سيأتي هذا النبي، فلما جاء النبي (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) التوراة تظاهرت القرآن، والقرآن ظاهر التوراة، أي اتفقا مع بعضهما القرآن والتوراة من أجل أن يقنعوا بأن هذا نبيٌّ من الله، ثم (وقالوا إِنَّا يَكْلُ) أي بالقرآن وبالتوراة وبكل ما جاء بهما (كَافِرُونَ) فأنتم كفرتم بالكتب السماوية كلها، وليس كفركم بالقرآن وحده، فما معنى قولكم اليوم (لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ)؟ هذه الحجة الأولى.

#### المنهج من عند الله و على الإنسان اتباعه :

الآن ربنا عز وجل أكمل معهم (سِحْرَانِ تَظَاهَرَا)، هذه فرصتهم الثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ قَاتِلُوا يُكْتَبُ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَعْبُرِ هُدَىٰ مِّنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

(سورة القصص: الآية 49)

(قُلْ قَاتِلُوا يُكْتَبُ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ) مصدره سماوي، لأنكم أنتم مؤمنون بالله، الآن يخاطب أهل الكتاب لا يخاطب المشركين الكفار، أو الكفار الملحدين أي الذين لا يؤمنون، الإله موجود حتى عند المشركين، فكرة الإله موجودة حتى إنهم يقولون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُرْقَىٰ

(سورة الزمر: الآية 3)



المنهج يكون من عند الله

إذا المنهج من عند من ينبغي أن يكون؟ من عند الله، قال: (قُلْ قَاتِلُوا يُكْتَابُ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا) أي أهدى من القرآن ومن التوراة، فيه هداية أكثر من القرآن، ومن التوراة (أَتَّبِعْهُ) طبعاً هذه الفرضية لن تكون، لكن ربنا عز وجل يجادلهم (أَتَّبِعْهُ) أي إن جئتم بكتاب ولن تأتوا، هو أهدى من القرآن ومن التوراة سأنبئه معكم، أنا سأكون معكم، وأتبع هذا الكتاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) لكنهم كاذبون، وليس عندهم لا كتاب أهدى، ولا أقل هداية، هم ليس عندهم منهج، والدليل أنهم ليس عندهم منهج أن هؤلاء في الأصل الذين ينكرون الوحي أو لا يريدون اتباع الوحي يؤمنون به ولا يريدون اتباعه، هم في الحقيقة يريدون أن يتبعوا أهواءهم لا يريدون أن يتبعوا منهجاً آخر.

إذا قلت لإنسان: هذا الكتاب المقرر غداً للامتحان، وهو عبارة عن سبعين صفحة، وفيه تدريبات ادرسه من أجل الامتحان، الآن هو بأعماقه لا يريد أن يقدم الامتحان، ولا يريد أن يدرس، فقال لك: والله الكتاب صعب، هل عندك كتاب آخر للمادة؟ قلت له: خذ هذا الكتاب الآخر، قال لك: والله هذا الكتاب أيضاً صعب فيه مشاكل لا أريده، معنى هذا أنت ليست مشكلتك مع المنهج بحد ذاته، أنت مشكلتك أنك لا تريد شيئاً يقيد تحركاتك التي تكون وفق شهواتك وأهوائك.

## الهوى و الهدى :



المنهج يطلقك من أسر نفسك

لذلك جاءت الآية التي بعدها (قُلْ قَاتِلُوا يُكْتَابُ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* إِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ) ليس عندهم منهج (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ)، (إِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ) ما قال له: فاعلم أنهم لا يملكون كتاباً آخر، أو لا يريدون اتباع القرآن، لا (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) هم لا يريدون منهجاً، فمشكلتهم ليست مع مفردات المنهج، وإنما مشكلتهم مع وجود المنهج أصلاً، لأن المنهج يقيد الحركة، نحن في كل يوم نمتنع عن عشرات الأعمال بسبب المنهج، هل تستطيع أن تمشي في الطرقات وأن تطلق بصرك في الحرام؟ لا تستطيع، لماذا؟ لأن لديك منهجاً، هل تستطيع أن تأكل أموال الناس؟ لا تستطيع لأن لديك منهجاً، هل تستطيع أن تتعالى على الناس وأن تتكبر عليهم؟ لا تستطيع، لديك منهج، هل تستطيع أن تغتاب الناس؟ لا تستطيع، لديك منهج، فالمنهج يقيد الحرية المزعومة، طبعاً لأن المنهج هو الحرية الحقيقية لأنه يطلقك من أسر نفسك، ومن شهواتك إلى فضاء الإيمان، إذا الحرية المزعومة التي تزعم أن المنهج يقيد الحرية، فهم لا يريدون منهجاً في الأصل، هم لا يريدون منهجاً قال: (إِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ) أي لن يستجيبوا لما دعوتهم إليه من الإيمان، والهدى، والتقوى، ولن يستجيبوا بأن يأتوا بكتاب هو أهدى، وهذا افتراضي، قال: (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) إنتهت المناظرة، أنت لن تناقش لا بمفردات المنهج، ولا بالمنهج، لأنك صاحب هوى، فإذا أن تكون على المنهج، وإما أن تكون مَتَّبِعاً للهوى، (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَشَدَّ ضَلَالًا عِنْدَ اللَّهِ؟ والضلال هو البعد عن الطريق المستقيم، والحياد عن الطريق الصحيح (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ أَتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ) هنا (أَتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ) لها توجيهان: التوجيه الشائع أن الهوى في الأصل مبنود، الهوى في الأصل لا يطلق بالقرآن إلا نبذاً، فليس هناك هوى على هدى من الله، الهوى من الهواية:

الهوى هو الهوان، هوى النفس: أن يتبع هواه، أي يمشي مع ذاته، فالهوى لا يكون إلا مذموماً، فلذلك قالوا: هذا قيد وصفي وليس قيلاً احترازياً، تكلمنا عن القيد الوصفي والقيد الاحترازي، بمعنى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً



لا يجوز أكل الربا ضعفاً واحداً، لأن القيد يبين وصف الربا، وهو أنه يؤول إلى أضعاف مضاعفة:

يَسْمُ اللّٰهَ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ  
وَيَقْتُلُوْنَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ

(سورة آل عمران: الآية 21)



اتباع الشرع يكون بهدي من الله

ليس هناك قتل للنبيين بحق، القتل بغير الحق دائماً فهو وصفٌ وليس احترازاً، فهنا أيضاً هو وصف أي اتباع الهوى دائماً يكون بغير هدى من الله، أما اتباع الشرع فيكون بهدي من الله، لكن بعض العلماء وجهوا توجيهاً لطيفاً: قال: الهوى هنا إن جاء بمعنى الهوى، هوى النفس، الشهوة، فقد يكون بهدي من الله، وقد يكون بغير هدى من الله، فقد يتبع الإنسان شهوته وفق منهج الله، بمعنى أنه يشتهي المرأة فيتزوج فهو اتبع شهوة نفسه لكن بهدي من الله، وقد يشتهي المال فيتاجر فكان وفق الهدى، فإن وجهنا الهوى هنا على أنه من باب الشهوة فيمكن أن نقول: إن هناك شهوة تلي في طاعة الله، فالله لم يحرماناً من شيء ولكن نظم حياتنا، فلا يوجد حرمان في الإسلام بمعنى الحرمان الكامل، لكن هناك صبر، وهناك شكر، أنت قبل أن تتزوج تصبر، وبعد أن تتزوج تشكر، لكن بالنتيجة أنت متاح لك، أي ما خلق النساء ومنع الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل منعاً كاملاً طوال الحياة، لا منع الزاوية الخطأ لكن إباح الزاوية الصحيحة، المرأة أم، المرأة أخت، المرأة عمّة، خالة، ثم زوجة، وكل واحدة لها معاملة، أما المرأة من غير المحارم فهذه غريبة عنك، لا تحل لك إلا بالزواج، ووضع لها ضوابط الشرع، والمال والعلو في الأرض وكل الشهوات لها نواذح حلال يستطيع الإنسان من خلالها تليتها، فبهذا المعنى يكون (بغير هدى من الله) احترازياً،



يوجد طريقان لا ثالث لهما

وبالمعنى الأول العام الذي عليه أكثر المفسرين يكون قيداً وصفيّاً بمعنى أنه لا يكون اتباع الهوى إلا (بغير هدى من الله) فلو اتبع هدى الله لما اتبع هواه، فإما أن تتبع هدايته، أو أن تتبع الهوى والعياذ بالله، (فإن لم يستجيبوا لك) للهدى (فأعلم أنّهم يتبعون أهواءهم) لا يوجد طريق ثالث، أي لا يوجد طريق في المنتصف، إما مستجيب وإما متبع، مستجيب قد يعصى ويتوب، أي هو في الأصل يخضع للمنهج، لكن يخالف بعض مفرداته ضعفاً أو جهلاً فيعود إلى الله، لكنه مستجيب، أما (فإن لم يستجيبوا لك) أي أنكروا المنهج كله، وما أرادوا أن يتبعوا المنهج (فأعلم أنّهم يتبعون أهواءهم) ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله. إن الله لا يهدي القوم الظالمين) الظالمون الذين ظلموا أنفسهم وظلموا الآخرين لا يهديهم الله، فهدى الله له قوانين، فأنت تطلب الهداية فيهديك الله، أو تكون راعياً في الحق فيصل بك الله إلى الحق، لكن إن كنت ظالماً فقد قطعت هداية الله عنك (إن الله لا يهدي القوم الظالمين).

أصل الإيمان موجود في القلوب ويحتاج إلى تذكرة :

آخر آية في هذا اللقاء هي تعقيب، هي تنمية الفكرة بعدما صار الحوار، الحوار (قَالُوا لَوْلَا أَوْتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) ربنا عز وجل أقام الجحة عليهم:



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قَلِيلٌ مِنَ الْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ

(سورة الأنعام: الآية 149)

قال: أنتم كفرتم بما أوتي موسى، وكفرتم بالقرآن، وقتلتم: (إِنَّا يَكُلُّ كَافِرُونَ) فأنتم ليست مشكلتكم مع التوراة، لو جاءت التوراة لن تتبعوها، وكانت التوراة بين أيديكم ولم تتبعوها، فأنتم مشكلتكم مع المنهج، وقتلتم: (سِحْرَانِ تَطَاهَرَا) الآن ما دامت التوراة والقرآن في زعمكم سحرين (قُلْ فَأَنُوتَا بِكِتَابٍ) ثالث غير التوراة وغير القرآن من عند الله (أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَلْبَعَةُ) انتهت المناظرة، إذا أنتم لستم أعداء لمفردات المنهج، أو لنوعية المنهج، وإنما أنتم أعداء لأصل وجود منهج يمنعكم من البطش، والظلم، والعدوان، فالله عز وجل لن يهديكم لأنكم ظالمون، انتهى، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

(سورة القصص: الآية 51)

القول وصل لك لعلك تتذكر وتعود، لماذا قال: (يَتَذَكَّرُونَ)؟ أنت تتذكر شيئاً موجوداً، هل تتذكر شيئاً غير موجود؟ إذا قلت لك: تذكر أين وضعت الأشياء؟ أنت واضع الأشياء بمكان، فكان الله عز وجل يقول: (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) أصل الفطرة، أصل التكليف لأن أصل الإيمان موجود في القلوب يحتاج إلى تذكرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

(سورة الذاريات: الآية 55)



الله خلقك بفطرة سليمة

أي ربنا عز وجل ما خلقك دون فطرة سليمة تهديك إلى الحق، فأنت عندما تتبع الهدى تتذكر أصل المنهج، وتعود إلى أصل فطرتك، وأصل دينك، فقال: (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) إذا تنتهي المهمة عندما يصل إليهم البلاغ، فإذا وصل إليهم البلاغ فإما أن يستجيبوا فيستحقوا الجنة، أو يعرضوا ويتبعوا الهوى فيستحقوا النار:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغَ

(سورة الشورى: الآية 48)

البلاغ فقط (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) انتهت المهمة (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) الآن بعد ذلك القرآن الكريم سوف يعرض لهم نموذجاً من أهل الكتاب الذين استجابوا، الآن سيعطيهم نموذجاً من أهل الكتاب استجابوا حتى تقام الحجة عليهم أكثر بأن تركهم للاستجابة هو من أنفسهم، ومن هوى أنفسهم، وليس من المنهج، لأن هؤلاء أيضاً أهل كتاب واستجابوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ

(سورة القصص: الآية 52)

وهذا ما سنتحدث عنه إن شاء الله في اللقاء القادم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ